الـعـزة لله جميـعاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وبعد ...

[1] = التمهيد:

الإسلام هو الدين القيم الذي فيه صلاح البلاد والعباد، وهو أعظم المنن التي منّ بها الكريم الوهاب علينا، وقد تكفل الله لمن سلكه بسعادة الدنيا والآخرة، فيه المبادئ السامية، والأخلاق العالية، والنظم العادلة. إنه الدين الذي ينبغي لنا أن نفتخر به، وأن نتشرف بالانتساب إليه، فمن لم يتشرف بهذا الدين ويفخر به ففي قلبه شك وقلة يقين.

إن الله تبارك وتعالى يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: "وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ" [الزخرف:44]. أي: شرف لك، وشرف لقومك، وشرف لأتباعك إلى يوم القيامة.

ومما زادني شـــرفاً وتيهـــــاً وكدت بإخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صَيَّرَتْ أحمد لي نبياً

إن الشرف أن تكون من عباد الله الصالحين، وأن تعمل الصالحات وتجتنب المحرمات.

إن الشرف أن تنتسب لهذا الدين، وأن تتبع سنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم، ومهما طلبنا العزة عند غير الله ودينه فلن نحصل عليها، فمن ابتغى العزة من عند غير الله فهو خاسر، لأن جميع العزة هي لله تبارك وتعالى، فليست العزة في الانتماء للفراعنة أو الغرب أو للدول الكافرة، بل العزة في الانتماء لله تعالى.

[2] = فالعزة لله جميعاً، والأدلة:

الدليل الأول: قال تعالى: "وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ. إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا، هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" [يونس:65]

الدليل الثاني: قال تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ" [فاطر:10]

أ- قوله تعالى: "من كان يريد العزة فلله العزة جميعا" أي من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعا.

ب- وقوله تبارك وتعالى: "إليه يصعد الكلم الطيب" يعني الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير واحد من السلف، فقد روى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: [إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله

تعالى، إن العبد المسلم إذا قال "سبحان الله وبحمده، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله" أخذهن مَلَكُ، فجعلهن تحت جناحه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل. ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه: "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه".

ج– وقوله تعالى "والذين يمكرون السيئات" قيل: هم المراءون بأعمالهم، يعني يمكرون بالناس، فيوهمونهم أنهم في طاعة الله تعالى، وهم بُغَضَاء إلى الله عز وجل، يراءون بأعمالهم، "ولا يذكرون الله إلا قليلا". وقيل: هم المشركون عموماً، وهو الصحيح، ولهذا قال تعالى: "لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور" أي يفسد ويبطل، ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى، فإنه ما أسر أحد سريرة خبيثة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة حسنة إلا كساه الله تعالى رداءها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فالمرائي لا يروج أمره ويستمر، إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم، بل ينكشف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.

الدليل الثالث: قال تعالى: "الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا".

أ– قال الله تعالى منكرا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: "أيبتغون عندهم العزة"، ثم أخبر الله تعالى بأن العزة كلها لله وحده لا شريك له ولمن جعلها له كما قال تعالى في الآية الأخرى "من كان يريد العزة فلله العزة" جميعا وقال تعالى "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون" والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله والإقبال على عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ب– روى أحمد عن أبي ريحانه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وفخرا فهو عاشرهم في النار".

ج– روى معمر بن راشد في جامعه عن قتادة وعلي بن زيد بن جدعان قالا: (كان بين سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي شيء، فقال سعد – وهم في مجلسٍ – : انتسب يا فلان، فانتسب، ثم قال للآخر، ثم للآخر، حتى بلغ سلمان، فقال: انتسب يا سلمان. فقال: ما أعرف لي أبا في الإسلام، ولكني سلمان ابن الإسلام. فنمى ذلك إلى عمر فقال عمر لسعد – وقد لقيه –: انتسب يا سعد، وأبى أن يدعه حتى انتسب، ثم قال للآخر، حتى بلغ سلمان، فقال: انتسب يا سلمان. فقال: أنعم الله علي بالإسلام، فأنا سلمان ابن الإسلام. فقال عمر: قد علمت قريش أن الخطاب كان من أعزهم في الجاهلية، وأنا عمر ابن الإسلام، أخو سلمان في الإسلام، أما والله لولا سبقك لعاقبتك عقوبة يسمع بها أهل الأمصار، أما علمت أن رجلا انتمى إلى تسعة آباء في الجاهلية فكان عاشرهم في النار، وانتمى رجل إلى رجل في الإسلام وترك ما فوق ذلك فكان معه في الجنة).

الدليل الرابع: قال تعالى: "يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" [سورة المنافقون:8].

أ– عبارة "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، قالها عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول. وهناك كلمات أخرى مثلها ككلمة مالك بن الدخشن – وكان من المنافقين – : [ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا؟ فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن

لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس، أضرب عنقه، يريد عمر عبد الله بن أبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: "أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟" فقال عمر: نعم والله، لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجلس". فأقبل أسيد بن حضير – وهو أحد الأنصار، ثم أحد بني عبد الأشهل – حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس، أضرب عنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟" قال: نعم، والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجلس". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آذنوا بالرحيل". فَهَجَّر بالناس، فسار يومه وليلته والغد، حتى متع النهار، ثم نزل، ثم هَجَّرَ بالناس مثلها، حتى صَبَّحَ بالمدينة في ثلاثٍ، سارها من قفا المشَلَّل، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أرسل إلى عمر فدعاه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟" فقال عمر: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال، لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه، فيتحدث الناس أني قد وقعت علي أصحابي فأقتلهم صبرا". وأنزل الله عز وجل: "هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله".

ب– روى محمد بن إسحاق بن يسار أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا".

ج–روى الحميدي في مسنده مختصراً أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول على باب المدينة، واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي بن سلول قال له ابنه: وراءك. فقال: مالك؟ ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه العزيز، وأنت الذليل. فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: وكان إنما يسير ساقة، فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أما إذا أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجز الآن.

<u>**الدليل الخامس**</u>: ما رواه الترمذي وأحمد عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى قَالَ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَا سَمَّاهُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]. والاعتزاز بالكفار أو الانتماء إليهم أو التسمية بأسمائهم كل ذلك من دعوى الجاهلية.

<u>**[3] = لقد أدرك سلفنا الأول عظمة هذا الدين، فقدموا أنفسهم وأموالهم رخيصة لهذا الدين، وهذه نماذج رائعة لهم نرى فيها الأسوة والقدوة في التشرف بالإسلام، والاعتزاز به، والاعتماد على الله، والتوكل عليه، والسير على نهجه، والالتزام بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم:**</u>

<u>**أولاً: جليبيب رضي الله عنه:**</u>

1- لم يكن يملك من الدنيا إلا الإيمان الذي ملأ قلبه، فأضاء له الدنيا.

2- جاء جليبيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتبسم عليه الصلاة والسلام لما رآه، وقال: يا جليبيب أتريد الزواج؟ فقال: يا رسول الله، من يزوجني، ولا مال عندي ولا دار ولا شيء من متاع الدنيا؟! فقال عليه الصلاة والسلام: اذهب إلى ذلك البيت من بيوت الأنصار، فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني، فذهب وطرق عليهم الباب، فخرج رب البيت، ورأى جليبيباً، فقال له: ماذا تريد؟ فأخبره الخبر، فعاد إلى زوجته، فشاورها، ثم قالوا: ليته غير جليبيب، لا نسب ولا مال ولا دار، فشاروا الفتاة، فقالت: وهل نرد رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوج بها.

3- وحضر النبي صلى الله عليه وسلم غزوة من الغزوات، فلما كتب لهم النصر قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال صلى الله عليه وسلم: لكني أفقد جليبيباً، فاطلبوه، فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه، فقال: قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، ثم وضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حفر له ووضع في قبره[1]. فانظر إلى هذا الرجل الذي يفتخر به النبي صلى الله عليه وسلم، ويضع ساعده الشريف وسادة له حتى يحفر له القبر إكراماً له، مع أنه من الفقراء في المال، لكنه من الأعزاء بالإسلام المتشرفين بالانتساب له.

ثانياً: قصة خروج عمر رضي الله عنه إلى القدس ليتسلم مفاتيح بيت المقدس:

يخرج عمر على حاله المعروفة، فيستعرض الجيش الإسلامي العظيم، ويقول قولته المشهورة: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله. ثم يقترب من أبي عبيدة فيعانقه، ويبكي طويلاً، فيقول عمر: يا أبا عبيدة، كيف بنا إذا سألنا الله يوم القيامة ماذا فعلنا بعد رسولنا صلى الله عليه وسلم؟ فيقول أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، تعالى نتباكى، ولا يرانا الناس، فانحرفا عن الطريق والجيوش تنظر إليهما، فاتجها إلى شجرة، ثم بكيا طويلاً رضوان الله عليهم أجمعين.

الخلاصة: لقد عرف سلفنا – رضوان الله عليهم – أن الحياة إنما تصرف في مرضاة الله وطاعته، وأن عزهم في دينهم وتمسكهم به، وأن ارتباطهم إنما هو بالله الواحد الأحد.

[4] = وجوب تنشئة الناشئة على تعظيم الدين وخدمته:

لكي ينشأ أبناؤنا على تعاليم الإسلام وشرائعه، يجب علينا أن نربيهم على الآتي:

1- تعظيم الله تعالى، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأن نشعرهم أن الخير من الله وحده ، ولا يدفع الشر سواه، وأن أمورنا إنما تكون بأمره سبحانه، فهو المتصرف كيف يشاء، وأن ننزل حاجاتنا به سبحانه فهو المؤمل سبحانه، يأكل باسم الله، يخرج متوكلاً على الله، يدرس ابتغاء مرضاة الله.

والدليل على ذلك: ما رواه الترمذي وأحمد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: [كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا

[1] المسند: 422/4، مسلم: 1918/4

اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ].

2- أن نعظم في قلوبهم القرآن الكريم حفظاً وتلاوة، ونشعرهم بعظمة هذا القرآن وما فيه من خير وسعادة.

والدليل على ذلك: ما رواه أحمد في المسند عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: [ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، فَقَالَ: ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا]. وفي البخاري عن ابْنِ عَبَّاس قال: [تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ]، يعني المفصل، وهو كل ما كان غير السبع الطوال.

3- أن يعظم في نفوسهم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر سيرته وجهاده ورحمته وشفقته وشفاعته وإحسانه، وأنه الرحمة المهداة، وذلك بكثرة الصلاة والسلام عليه، وتقديم حبه على كل شيء.

4- أن نربي أبناءنا على ذكر الله تعالى، لاسيما أذكار الصباح والمساء،

روى أحمد عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: [أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ].

الخاتمة: إن المسئولية في هذا ملقاة على عواتق أولياء الأمور، فليتقوا الله في ذلك، وليحسنوا التربية حتى تخرج الثمار المباركة. اللهم وفقهم لما تحبه وترضى.

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه بفضله ورحمته